كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت، في ٢ أيّار (مايو) ٢٠١٧، في افتتاح المعرض المخصَّص إلى الأب لوسيان كاتين اليسوعيّ، في سرداب كنيسة القدّيس يوسف في بيروت.

اسمحوا لي، في بداية هذه الكلمة، أن أحيّي وأشكر السيّد فيليب بوي Philippe Bouille (ابن الشقيق الأصغر للأب لوسيان كاتين اليسوعيّ) وكريستيان توتل (المعلّم في قسم التاريخ في كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة) الذين قاما بالتحضير بحماسٍ كبير ودقّة لهذا المعرض حول الأب لوسيان كاتين، أحد مؤسّسي جامعتنا، وهو بالمختصر، أحد اليسوعيّين السويسريين البارزين. منذ تسعة أشهر، كان السيّد بوي Bouille يزور لبنان وجامعة القدّيس يوسف في بيروت. وجاءت فكرة إنشاء هذا المعرض في شهر أيّار (مايو) ٢٠١٧ وها هو هذا المعرض يحتلّ هذا المكان الأسطوريّ، هذا السرداب في الكنيسة التابع لجامعة القدّيس يوسف. بالإضافة إلى تعابير الشكر المباشرة، أودّ أن أحيّي عمل السفارة السويسريّة بشخص سعادة السفير السيّد باراس Barras، شريكنا الدائم، الذي أصرّ على الإنضمام إلى تكريم الأب كاتين لما كان يمثّله لزمنه وللأجيال القادمة أيضًا. إذن، ها نحن، السفارة السويسريّة، والسفارة الفرنسيّة، والجامعة، وكليّة الطبّ، ومستشفى أوتيل ديو دو فرانس، وقدامى طلاب جامعة القدّيس يوسف وبالأخصّ قدامى كليّة الطبّ، ومركز الحجّ المريميّ في حاريصا، وأسرة الفقيد والرهبنة اليسوعيّة، نفتتح بداية هذا الشهر، شهر أيّار (مايو)، شهر تكريم مريم العذراء وكان يكنّ لها عاطفة خاصّة.

إنّنا لنكتشف حياة الأب كاتين الغنيّة والملتزمة جدًّا في جريدة "لا كروا" *La Croix* في العام ١٩٢٩ التي كانت قد نشرت مقالاً حول علاقة طويلة ربطته بمراسلها في بيروت داميان رميا والذي وجدته على الموقع الإلكتروني Gallica التابع للمكتبة الوطنيّة الفرنسيّة BNF والذي سأذكر منه المقتطفات التالية :

"في مساء ٢٦ أيّار (مايو)، توفيّ الأب الجليل لوسيان كاتين في تعنايل (لبنان). ولد الأب لوسيان كاتين في ١ آذار (مارس) ١٨٥١ وكان الرئيس السابق لإرساليّة اليسوعيين في لبنان، ورئيس جامعة القدّيس يوسف السابق، والمستشار الفخريّ لكليّة الطبّ الفرنسيّة. قدم إلى لبنان في المرّة الأولى في العام ١٨٨٤ وشغل في جامعة القدّيس يوسف وظيفة مناظر للدروس. بعد ثماني سنوات قضاها في الإسكندريّة بصفة رئيس مدرسة

سان فرانسوا–كزافييه Saint François–Xavier، عاد إلى بيروت، في العام ١٨٩٠ كمستشار لكليّة الطبّ الفرنسيّة وبقي فيها ثماني سنوات.

يخبرنا خليفته المميّز، الأب شانتور Chanteur أنّه قام بتأدية وظيفته كرئيس الإرساليّة اليسوعيّة ورئيس جامعة القدّيس يوسف بشخصيّته القويّة، خلال ما يقارب نصف قرن، في لبنان وسوريا وكلّ الشرق الأوسط. من أجل تلبية حاجات رسالته، توجّه إلى فرنسا وليون وباريس حيث تواجد في قاعات تحرير الجرائد وأدّى واجبه في سبيل مشاريع الرهبنة اليسوعيّة في فرنسا وفي بيروت. خلال الحرب الكبرى، من نيسان (أبريل) إلى آب (أغسطس) ١٩١٥، أقام في باريس من أجل إثارة الرأي العام وجعله يطالب فرنسا بسوريا".

عند انتهاء الحرب، في العام ١٩١٨، عاد الأب كاتين إلى بيروت حيث استأنف مهامّه كرئيسٍ للجامعة وكمستشار لكليّة الطبّ. ولم يقتصر حماسه على هذه الأعمال المزدهرة جدًّا. بمساعدة فرنسا واثنين من ممثّليها اللامعين، غورو Gouraud وويغان Weygand، بنى في موقع رائع من بيروت، مقابل مقرّ المفوّض السامي، مستشفى أوتيل ديو دو فرانس. قدّم لكلّ هذه الأعمال الخيريّة والتعليميّة توسّعًا كبيرًا جعل موريس باراس Maurice Barrès يكتب في كتابه "دراسة في بلاد المشرق" أنّ جامعة القدّيس يوسف هي أمّ المراكز الفكريّة في الشرق وأنّها كانت "المنارة التي تشعّ بالحقيقة، وتُسلّط أضواءها الساطعة على كلّ دول الحوض الشرقيّ للبحر الأبيض المتوسّط.

يوم وفاته، حلّقت ستّ طائرات من محطّة رياق الجويّة للطيران متوّجةً دير تعنايل. رافقت الشبيبة الكاثوليكيّة رفات الكاهن من صوفر وعاليه إلى العاصمة. إعتمد أعضاء مجلس النوّاب اللبنانيّ بالإجماع حركة السيّد إميل إدّه الرائعة، وهو النائب الماروني في بيروت وتلميذ المتوفّى وصديقه :

"بألمٍ شديد تلقّى البلد بأجمعه نبأ وفاة الأب كاتين. معه نفتقد المؤسّس الكبير والناشط في أعمالٍ متعدّدة قامت بها إرساليّات فرنسيّة ومن خلالها "أصبح لبنان المركز الفكريّ الأساسيّ في الشرق. حرصًا منه على تكريم ذكراه تكريمًا جليلاً، إتّخذ مجلس النوّاب قرارًا بتعليق جلسته خمس دقائق حدادًا عليه." كلّ بيروت، بمن فيها من رجال دين ومدنيين ومسؤولين وقدامى طلاب، إلتقوا في اليوم التالي من أجل إقامة القدّاس ورتبة الدفن.

بعد القدّاس، إختتمت جريدة لاكروا *La Croix* أنّ الأب شانتور Chanteur كرّم الفقيد تكريمًا جليلاً. ثمّ اقترب رئيس الجمهوريّة صوب النعش ووضع عليه، قرب صليب وسام جوقة الشرف، ميداليّة الاستحقاق الذهبيّة اللبنانيّة. أخيرًا، مجموعة من التلاميذ القدامى الذين حملوا النعش فوق رؤوسهم، بحسب تقليد لبنانيّ مخصّص إلى كبار رجالات البلد، نزلوا إلى السرداب حيث ستوارى جثّة المكرّم الأب كاتين Cattin."

بخصوص كليّة الطبّ ومستشفى أوتيل ديو دو فرانس، وجدتُ نصًّا مهمًّا آخر في جريدة "لو تان" *le Temps* الصادرة سنة ١٩١٢، وهي جريدة "لو موند" *Le Monde* سابقًا : دعا كلّ من "جريدة "لو تان" واتّحاد الصحافة الباريسيّة منذ بعض الوقت إلى اكتتابٍ من أجل بناء كليّة الطبّ في بيروت التي تمّ بناؤها وإدارتها من اليسوعيين الفرنسيين. وقد جلب الإكتتاب بالفعل أكثر من نصف مليون مُكتتِب أدّى وضع أوّل حجر أساس للمبنى الجديد في بيروت إلى إقامة حفل كبير حيث رأينا ممثّلين رسميين عن فرنسا يتشاركون الحدث مع اليسوعيين. وحضر كلٌّ من القنصل العامّ لفرنسا، والبروفسور بلانشار Blanchard من كليّة الطبّ في باريس، وممثّل عن الحكومة التركيّة، والأطبّاء والجرّاحون من المستشفى العسكريّ في بيروت وضبّاط المدرسة الحربيّة، وليون- غامبيتا Léon-Gambetta، والأب كاتين، الكاهن اليسوعيّ ومستشار الكليّة، وعدد كبير من الكهنة. ألقى كلٌّ من قنصل فرنسا والمندوب عن الحكومة العثمانيّة خطابات. ثمّ قرأ الأب كاتين، باللّغة اللاتينيّة أوّلاً ثمّ باللّغة الفرنسيّة، وثيقة حيث "عرض لضرورة توسيع كليّة الطبّ وتطويرها". بعد هذه القراءة، بارك المندوب الرسوليّ وضع حجر الأساس الأوّل وقام القنصل العامّ لفرنسا بختمه، ثمّ تقدّم أعضاء لجنة التحكيم الفرنسيّة-العثمانيّة في الكليّة والأساتذة وأعيان البلد مداورةً ليضربوا الحجر بالمطرقة الرمزيّة حاملاً اسمَي بيوس العاشر وأرمان فالليير Armand Fallières.

الأعمال الجامعيّة والطبيّة لم تجعل الأب كاتين ينسى إخلاصه للعذراء مريم فقد اقترح هو نفسه بناء أهمّ مكان للحجّ في لبنان في حاريصا وحصل على هبة قدرها ١٦ ٠٠٠ فرنك ذهبيّ من أجل بنائه بعد الحرب العالميّة الأولى.

ونعرف كذلك من خلال مقال للسيّدة شانتال فيرداي Chantale Verdeil عن بدايات جامعة القدّيس يوسف أنّ الآباء اعتمدوا سياسة دينيّة منفتحة جدًّا تجاه الطلاب اليهود والمسلمين الذين سُمِح لهم ألا يكونوا

حاضرين في أوقات الصلاة المسيحيّة والتوجّه إلى المدينة إلى أماكن عبادتهم الخاصّة. وهي تذكر الأب كاتين الذي قال إنّ سياسة اليسوعيين كانت الأصحّ في حين كانت تنشأ أزمة في الجامعة الأميركيّة في بيروت بين المسؤولين فيها وطلابها المسلمين الذين كانوا يُرغَمون على التواجد في الكنيسة وهؤلاء كانوا قد تظاهروا في شوارع بيروت ضدّ هذا القرار.

الصفحة الأخيرة التي تهمّنا من حياة الأب كاتين هي الصفحة المرتبطة بقدامى طلاب الجامعة. فلنتذكّر ببساطة أنّه كان مؤسّس رابطة قدامى طلاب الطبّ، منذ ١٢٠ سنة بالضبط، وأنّه كان قد ترك خطابًا ألقاه في العام ١٩٢٠ ويشكّل وصيّة ثمينة من عدّة صفحات حول رسالة الطالب المتخرّج من جامعة القدّيس يوسف والتي انتهت على الشكل التالي : " أصدقائي، ها هي نصائحي لكم، اتبعوها، هذه هي تمنّياتي، حقّقوها ؛ انبذوا كلّ ما هو ليس واجبًا وكونوا في بلدكم لبنان العمّال المخلِّدين للحياة.[١]"

[١] مقتطف من خطاب الأب كاتين في العام ١٩٢٠.